بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله ، وعلى آلِه ، وصَحبِه ، ومَن والاه ، وبَعدُ :

فهذا ضَبطٌ لقَصيدةٍ مِن جميلِ ما نَظمَه الشَّيخُ العلَّامةُ حافظُ بنُ أحمدَ الحكميُّ (ت ١٣٧٧) رحمهُ الله تعالَى ، وهي القَصيدةُ المعروفةُ بـ (هائيَّةِ الحكَميِّ) في الزُّهدِ والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ ، ضَبطتُها بعدَ المقابلةِ بينَ مجموعةٍ مِن نُسَخِها المنشورَةِ على الشَّبكةِ ، مَقروءةً ومَسموعةً ، فإلى المقصودِ :

❊ ❊ ❊

قالَ الشَّيخُ رحمهُ الله تعالَى :

ما لي ولِلدُّنيا ولَيستْ بِبُغْيَتي[1] وَلَا مُنْتَهى قَصْدي ولَستُ أَنا لَها

ولَستُ بِمَيَّالٍ إِلَيها ولا إِلى رِئاسَتِها نَتْنًا وقُبْحًا لِحالِها[2]

هِيَ الدَّارُ دارُ الهَمِّ والغَمِّ والعَنا سَريعٌ تَقَضِّيها قَريبٌ زَوالُها

مَياسيرُها عُسْرٌ وحُزنٌ سُرورُها وأَرباحُها خُسرٌ ونَقصٌ كَمالُها

إِذا أَضحَكَتْ أَبكَتْ وإِن رامَ وَصلَها غَبِيٌّ فيا سِرْعَ انْقِطاعِ وِصالِها

---

(١) أوَّلُ البيتِ دخلَه زِحافُ (الخرمِ) ، وهو : حَذْفُ أوَّلِ الوتدِ المجموعِ مِن تَفعيلةِ (فَعُولُنْ) ، وهو قليلٌ في الشِّعرِ ، وفيهِ ثِقلٌ ، ومِن شَواهِدِه قوله في افتِتاحيَّةُ الحماسةِ الصُّغرى المَعروفةِ بـ (الوَحشيَّاتِ) :

نَجَّاكَ جَدٌّ يَفْلِقُ الصَّخْرَ بَعْدَما أَظَلَّتْكَ خَيلُ الحارِثِ بنْ شَريكِ

وفي بَعضِ النُّسخِ زيادةُ واوٍ أوَّل البيتِ تخلُّصًا من هذا الزِّحافِ ، وبه أَخذتُ في التَّسجيلِ ، تَجنُّبًا لِلثِّقلِ .

(٢) وفي بَعضِ النُّسخِ : « فتنًا وقُبحًا » ، والأكثرُ ما أثبتُّه ، ولعلَّه الأنسبُ .

فـأَسـأَلُ رَبـِّي أَنْ يَـحـولَ بِـحَــولِـهِ وقُـوَّتِــهِ بَـيـنـي وبَـيـنَ اغْـتِـيـالِـهـا

فَـيا طـالِبَ الـدُّنْـيا الدَّنِـيَّـةِ جاهِدًا [٣] أَلا اطْـلُـبْ سِـواهـا إِنَّـها لا وَفـا لَـها

فَـكَـمْ قَـدْ رأَيـنا مِن حَريصٍ ومُشْفِقٍ عَـلَيـها فلَـمْ يَـظْـفَـرْ بِـها أَن يَـنالَـها

لَقَـدْ جـاءَ فـي آيِ الحـديـدِ ويُـونُسٍ وفي الكَـهفِ إِيضاحٌ بضَربِ مِثـالِـها

وَفـي آلِ عِـمْـرانٍ [٤] وسُـورَةِ فـاطِـرٍ وفـي غـافِـرٍ قـد جـاءَ تِـبـيانُ حالِـها

وَفـي سُورَةِ الأَحْقافِ أَعـظَمُ واعِـظٍ وكم مِن حَديثٍ مُـوجِـبٍ لِاعتِزالِـها

لَـقَـدْ نَـظَروا [٥] قَـومٌ بِـعَـينٍ بَـصيـرَةٍ إِلَـيـها فلَـمْ تَـغْـرُرْهُـمُ بِـاخـتِـيالِـها

أُولَـٰـئِـكَ أَهـلُ الله حَــقًّـا وحِـزبُـه لَـهُـم جَنَّـةُ الـفِـردَوسِ إِرثًا ويا لَـها

ومـالَ إِلَـيـهـا آخَــرونَ لِـجَـهْـلِـهِـمْ فـلَمَّـا اطْـمَـأَنُّـوا أَرشَـقَتْـهُـمْ نِـبالَـها

أُولَـٰـئِـكَ قَـومٌ آثَــروهـا فـأُعْـقِـبـوا بِها الخِزْيَ في الأُخْرى وذاقُـوا وَبالَـها

فَـقُل لِّـلَّـذِينَ اسْـتَـعْـذَبـوها رُوَيـدَكُـمْ سَيَنْـقَـلِبُ السُّـمَّ [٦] النَّـقـيـعَ زُلالُـها

لِـيَلْـهوا ويَـغْـتَـرُّوا بِـها ما بَـدا لَـهُـمْ مَتى تَـبْـلُـغِ [٧] الحُلْقومَ تُصْرَمْ حِبالُـها

---

(٣) وفي بَعضِ النُّسخِ : « الدَّنيئَة » بالهمزِ ، والأكثرُ ما أثبتُّه . وهو الأنسَبُ لكلمةِ الدُّنيا .

(٤) وفي بَعضِ النُّسخِ : « آلِ عمرانَ » ، بفَتحِ النُّونِ ؛ لأنَّ الكلمةَ ممنوعةٌ من الصَّرفِ ، والأَولى ما أثبتُّه لِسَلامتِه مِن زِحافِ الكَفِّ ، وهو مُستقبَحٌ في الطَّويلِ ، وارتِكابُ الضَّرورةِ بصَرفِ الكلمةِ أخفُّ مِنه .

(٥) هذا على لُغةِ : « أَكَلوني البَراغيثُ » ، واللُّغةُ المعروفةُ إفرادُ الفعلِ ، ولو أنَّث الفِعلَ فقالَ : « لَقدْ نَظرَتْ قَومٌ » لَصحَّ كذلكَ ، ووافَقَ المشهورَ .

(٦) « السُّمَّ » : القاتِلُ المعروفُ ، ذَكرَ في (القاموس) في سِينِه التَّثليثَ ، وذَكرَ شارحُه الزَّبيديُّ عن شَيخِه أنَّ الأفصَحَ فيه الضَّمُّ ، ثمَّ قالَ : « ولَـم أَرَ مَن تعرَّضَ لِكَسر ... وكأنَّها – أي : لُغةُ الكَسرِ – عامِّيَّـةٌ » اهـ

(٧) وفي بَعضِ النُّسخِ : « مَتَى تَبلُغُ » ، بِالرَّفعِ ، وهو خَطأٌ ، والصَّوابُ الكَسرُ تَخلُّصًا مِن التقاءِ السَّاكنَينِ ، لأنَّ (مَتى) هُنا شَرطيَّةٌ وليست استِفهاميَّـةً ، فالفِعلُ مَجزومٌ ، والكَسرُ دَليلُ الجَزمِ .

ويَـومَ تُوفَّـى كُـلُّ نَـفـسٍ بِـكَسْـبِـها تَـوَدُّ فِـداءً لَـو بَـنِـيـهـا ومـالَـهـا

وتَـأخُـذُ إمَّـا بِـاليَـمـيـنِ كِـتـابَـهـا إذا أَحـسنَـتْ أَو ضِـدَّ ذا بشِمـالِـهـا

ويَبـدو لَـدَيْها مـا أَسَرَّتْ وأَعـلَـنَـتْ وما قَـدَّمَـتْ مِـن قَولِـهـا وفِـعالِـهـا

بِـأَيـدي الكِـرامِ الكاتِـبِـينَ مُسَـطَّرٌ فلَـم يُغْـنِ عَنـها عُـذْرُهـا وجِدالُـها

هُنـالِكَ تَـدري رِبحَـهـا وخَسارَها وإذ ذاكَ تَـلْـقى مـا إلَيـهِ مَـآلُـها

فإن تَكُ مِن أَهـلِ السَّـعـادَةِ والتُّقى فـإنَّ لَـهـا الـحُسْنى بِحُـسْنِ فِعالِـها

تَفـوزُ بِجَنَّـاتِ النَّـعـيـمِ وحُـورِهـا وتُـحْـبَرُ في رَوضـاتِها وظِـلالِـها

وتُـرزَقُ مِـمَّـا تَشْتَـهي مِـن نَعيمِـها وتَـشرَبُ مِن تَـسْنيـمِـهـا وَزُلالِـها

وَإنَّ لَـهُـمْ يومَ الـمَـزيـدِ لَـمَـوعِـدًا زِيـادَةَ زُلْفَى غَـيرُهُـمْ لا يَنـالُـها

وُجـوهٌ إلى وَجـهِ الإلَـٰـهِ نَواظِـرٌ [٨] لَقَـدْ طـالَ ما بِالـدَّمـعِ كانَ ابْتِـلالُـها

تَـجلَّى لَـها الـرَّبُّ الرَّحيمُ مُسلِّـمًـا فيَـزدادُ مِن ذاكَ التَّجَـلِّي جَـمـالُـها

بِمَقْـعَـدِ صِـدقٍ حَبَّـذا الـجـارُ رَبُّهُمْ ودارِ خُـلودٍ لَـمْ يَـخـافـوا زَوالَـها

فَواكِـهُـهـا مِـمَّـا تَلَـذُّ عُيـونُـهُمْ وتَطَّـرِدُ الأَنـهـارُ بَـينَ خِـلالِـها

عَـلى سُرُرٍ مَـوضـونَةٍ ثُـمَّ فُرْشُـهُمْ كَمـا قـالَ فـيـهِ رَبُّـنـا واصِـفًا لَـها

بَـطائِـنُها إسْـتَبْـرَقٌ كـيفَ ظَـنُّكُمْ ؟! ظَـواهِـرُهـا لا مُنْـتَـهى لِـجَمـالِـها

وإن تَـكُـنِ الأُخـرى فَـوَيـلٌ وحَسْرَةٌ ونـارُ جَـحـيـمٍ مـا أَشَـدَّ نَـكالَـها

لَـهُـمْ تَـحتَـهُـمْ مِـنْها مِـهادٌ وفَوقَهُم غَواشٍ ومِنْ يَـحمـومِ [٩] ساءَ ظِلالُـها

طَعـامُـهُمُ الغِسـلِيـنُ فيها وإن سُقُوا حَـمـيمًـا بـهِ الأَمْـعاءُ كانَ انْحِلالُـها

---

(٨) « نَواظِرٌ » : على زِنةِ (فَواعِل) ، وهي ممنوعةٌ مِن الصَّرفِ ، صُرِفَت هنا للوَزنِ .

(٩) وفي بَعضِ النُّسخِ : « ومِن يَحمُومٍ » ، والصَّوابُ مَنعُها مِن الصَّرفِ للوَزنِ .

أَمـانِـيُّـهُمْ فيـها الـهَـلاكُ ومـا لَــهُمْ خُـروجٌ ولا مَـوتٌ كـمـا لا فَـنا لَـها

مَـحَـلَّـيْنِ قُـل لِّلـنَّـفسِ لَيسَ سِواهُما لِتَـكْسِبَ أَو فَلْتَكتَسِبْ [١٠] ما بَدا لَـها

فَـطُـوبـى لِـنَـفسٍ جَوَّزَتْ وتَخَـفَّفَتْ فَـتَـنْـجو كَـفافًـا لا عَـلَـيها ولا لَـها

❊ ❊ ❊

وكانَ الفَراغُ مِن ضَبطِ هذه المنظومةِ والتَّعليقِ عليها عَشيَّةَ السَّبتِ ٢٠/ شوال / ١٤٣٥

والحمدُ لله الَّذي بنِعمتِه تتِمُّ الصَّالحاتُ ، وصلَّى الله وسلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ ، وعلى آلِه وصَحبِه أَجمعينَ .

(أَبو إِبراهيم رِضوانُ بنُ محمَّد آل إِسماعِيل)

❊ ❊ ❊

---

(١٠) وفي بَعضِ النُّسخِ : « لِتَكْسِبْ » بإسكانِ الباءِ ، والفَتحُ لازمٌ للوَزنِ ، والكلمةُ التي بَعدَها تصحَّفتْ في بَعضِ النُّسخِ إلى « أَو فَلْتَسْكُتْ » ! ، والصَّوابُ ما أثبتُّه ، ومَعنَى البيتِ مأخوذٌ مِن قولِه تعالَى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، أي : لها ما كَسَبت مِن الخيرِ ، وعليها ما اكتَسَبت مِن الشَّرِّ . واللهُ تعالَى أعلَمُ .